# محاضرة (01): مدخل إلى الابستمولوجيا

## 1/تعريف الابستمولوجيا: Epistemology / Epistémologie

الابستمولوجيا Epistémologie مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية (Epistémè) التي تعني المعرفة أو العلم، ولفظ (Logos) الذي يعني النظرية أو الدراسة، أي أن مصطلح الابستمولوجيا بحكم أصله الاشتقاقي يعني حرفيا "نظرية العلم" أو "نظرية المعرفة العلمية" التي تهتم بالدراسة النقدية لمبادئ العلوم المختلفة وفروضها ونتائجها، وتستهدف تحديد أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية.

يرجع هذا المصطلح إلى الفيلسوف الاسكتلندي **ج.ف. فريي** **J.F. Ferrier** الذي كان أول من استخدم لفظ "ابستمولوجيا" في كتابه "سنن الميتافيزيقا" سنة 1854م عندما ميّز في الفلسفة بين مبحث الوجود (الأنطولوجي) ومبحث المعرفة (الابستمولوجي).

يعرف "**أندري لالاند** André Laland" الابستمولوجيا على أنها: "الدراسة النقدية للمبادئ والنتائج الخاصة بالعلوم، تهدف لمعرفة أصولها المنطقية، قيّمها وثقلها الموضوعي، فهي إذن عبارة عن المبحث الذي يعالج معالجة نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها، بهدف إرساء أساسها المنطقي، كما أنه يشهد تجديد قيمة العلوم، ودرجة موضوعيتها".

## 2/الابستمولوجيا والمفاهيم المجاورة:

### 2-1/نظرية المعرفة: La théorie de la connaissance

_أول من استعمل مصطلح نظرية المعرفة La théorie de la connaissance هو الفيلسوف الألماني **رينهولد** Reynhold سنة 1789م في كتابه "أساس العلم الفلسفي"، وذلك في إطار الاهتمامات المعرفية للمدرسة الفلسفية الألمانية بوجه عام والمدرسة الكانطية بوجه خاص. من الناحية المفاهيمية فيمكن لنا تقديم تعريف **روزنتال** Rozanthal حيث يى بأنها: "قسم هام من النظريات الفلسفية وهي نظرية في مقدرة الإنسان على معرفة الواقع ومصادر وأشكال ومناهج المعرفة والحقيقة ووسائل بلوغها". وهنا يمكن القول أن نظرية المعرفة تتناول:

- ✓ البحث في العلاقة بين الفكر (الذات Sujet) والوجود (الموضوع Obejt) من حيث الأسبقية والأولوية.
- ✓ البحث في قدرة الانسان على تحصيل المعرفة والوصول إلى الحقيقة والمصادر والأدوات التي تتخذها الذات لبلوغ المعرفة.
- ✓ تناقش نظرية المعرفة مشكلة الحقيقة والحقيقة العلمية.

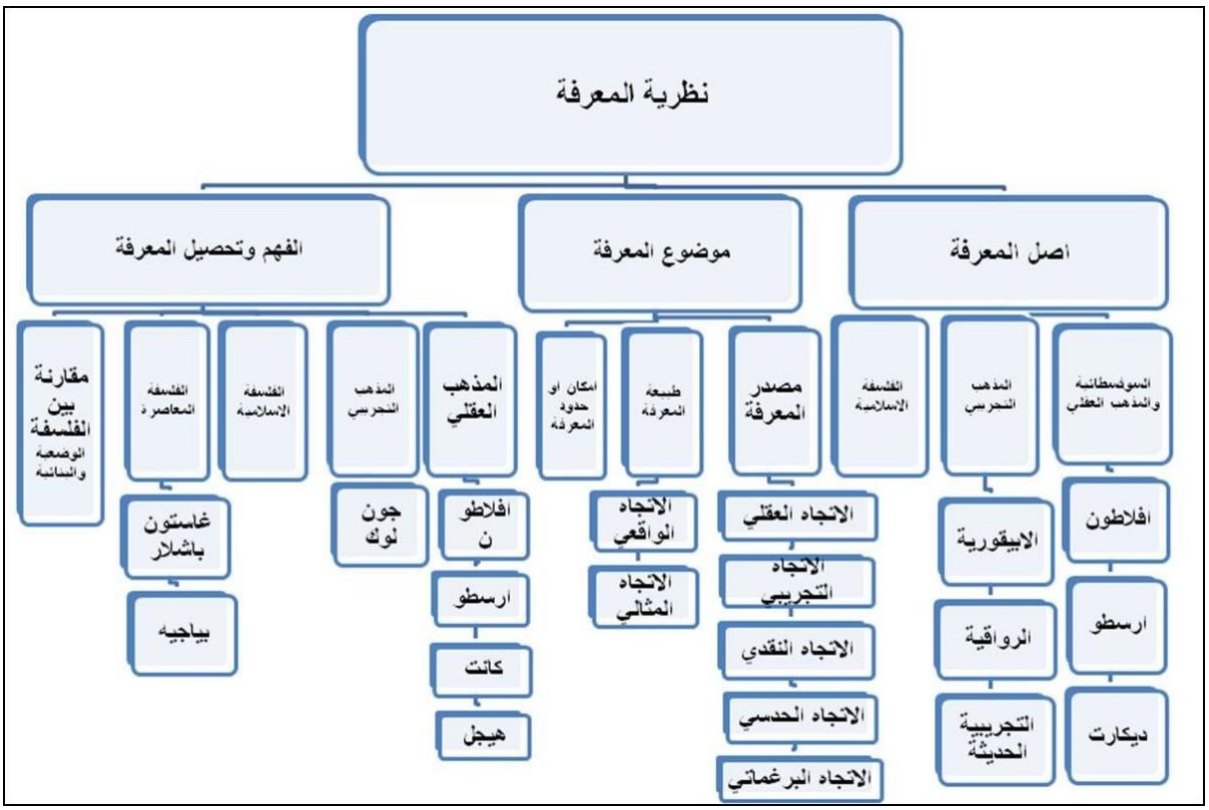


***من بين الاتجاهات التي اهتمت بمسألة المعرفة نجد:**

**_الاتجاه العقلي:** تيار في نظرية المعرفة يرى أن العقل هو مصدر المعرفة والعقل هو الطريق الوحيد لاكتساب المعرفة من رواد هذا الاتجاه نجد: **ديكارت، سبينوزا، ليبنز.**

**_الاتجاه التجريبي:** يذهب إلى أن التجربة هي الأساس في العملية المعرفية، وأن العقل صفحة بيضاء مهمته ربط الأفكار التي تأتيه عن طريق الانطباعات، الإحساس والإدراك ويمثل هذا الاتجاه: **جون لوك** و **دافيد هيوم.**

**_الاتجاه النقدي:** يعود تأسيسه إلى الألماني **كانط،** حيث يؤمن بدور العقل في المعرفة ولكن هذا الدور مرتبط بمجال الحس والتجربة الذي يعطيه معناه ومادته، إذن المعرفة لديه هي حصيلة تفاعل العقل والتجربة معا.

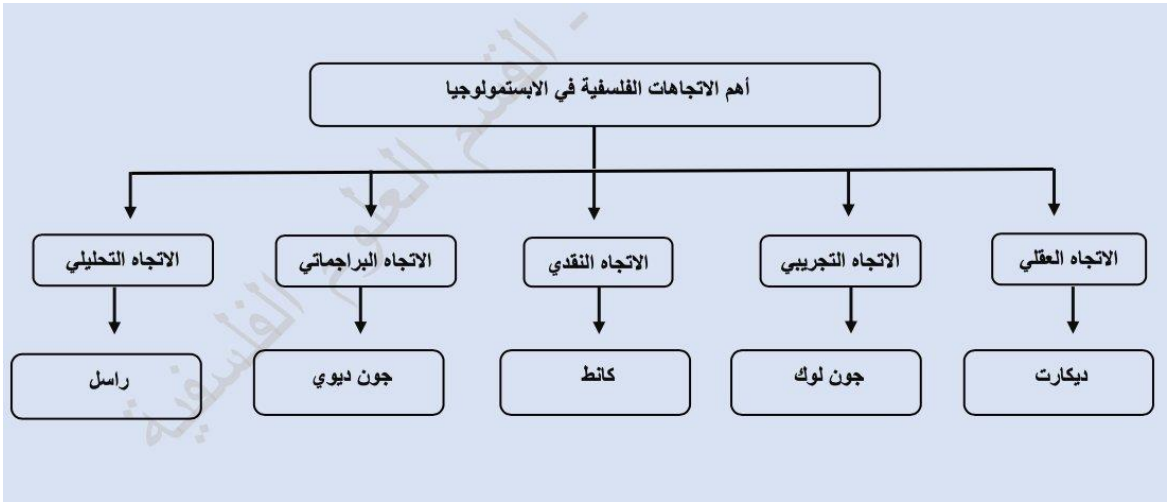

## 2-2/الابستمولودجيا ونظرية المعرفة

إذا كان مصطلح "الابستمولوجيا" يطلق في اللّغة الانجليزية بالمعنى نفسه على مصطلح "نظرية المعرفة" بوجه عام، فإنّ الاختلاف بين المصطلحين يظهر في اللّغة الفرنسية حيث يتم التميّيز بين " La théorie de connaissance" أي نظرية المعرفة وبين Epistémologie أي الابستمولوجيا، وبصدد هذا الاختلاف يمكن التمييز بين موقفين مثلما هو موضح لدى **روبير بلانشيه** Blanché.

**_الموقف الأول:** هو الذي يساوي في الإستخدام بين مصطلح الابستمولوجيا ومصطلح نظرية المعرفة ويرى أن علاقة الابستمولوجيا بنظرية المعرفة يمكن أن تتحدد مبدئيا بالعلاقة نفسها الموجودة بين النوع والجنس، لأن الابستمولوجيا تقف عند البحث في صورة خاصة من المعرفة، هي المعرفة العلمية، بينما تبحث نظرية المعرفة في مبادئ المعرفة بصفة عامة. ويعبّر عن هذا الموقف **جان بياجيه** Piaget صاحب نظرية الابستمولوجيا التكوينية Epistémologie Génétique، الذي ذهب إلى أن المعرفة في تطور دائم لن تصل فيه إلى اتمامها، واعتبر أن كل ابستمولوجيا تبحث في هذا التطور ستغدو بالتالي نظرية في المعرفة.

**الموقف الثاني:** هو الذي يفرق بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة، ويحوّل جنس المعرفة إلى نوع واحد فقط هو المعرفة العلمية، ويرفض كل ما عداها من معارف كما يذكر **روبير بلانشيه** ويعبّر عن هذا الموقف **لوي روجيه** Rougier. أما المعنى المعاصر لمصطلح الابستمولوجيا في الفلسفة العربية والفرنسية فهو: **الدراسة النقدية للمعرفة العلمية.**

ومع أن مفهوم العلم حاضر في تاريخ الفلسفة، ولا سيما عند **أفلاطون وأرسطو وديكارت ولوك وليبنز** فإنّ الابستمولوجيا بوصفها مبحثا مستقلا موضوعه المعرفة العلمية، لم تنشأ إلا في مطلع القرن العشرين حيث اتجهت إلى تحديد الأسس التي يرتكز عليها العلم، والخطوات التي يتألف منها، وإلى نقد العلوم والعودة إلى مبادئها العميقة. وذلك بتأثير التقدم السريع للعلم، والاتجاه نحو التخصص المتزايد، وما ولّده من تغيّر في بنية منظومة العلوم من صعوبات وإشكالات ذات طبيعة نظرية.

## 2-3/الابستمولوجيا وفلسفة العلوم: La philosophie des sciences

فلسفة العلوم أحد فروع الفلسفة التي تهتم بدراسة الأسس الفلسفية والافتراضات والمضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة، بما فيها العلوم الطبيعية مثل: الفيزياء والرياضيات والبيولوجيا، والعلوم الاجتماعية مثل علم النفس، وعلم الاجتماع والعلوم السياسية. بهذا المفهوم تكون فلسفة العلوم وثيقة الصلة بالابستمولوجيا. وكل تفكير في العلم أو في أي جانب من جوانبه، في مبادئه أو في فروضه أو في قوانينه، في نتائجه الفلسفية أو قيمته المنطقية والأخلاقية هو بشكل أو بآخر فلسفة للعلم.

**_تناقش فلسفة العلوم موضوعات عدة أهمها:**

- مسألة الحقيقة العلمية والعقلانية.
- مسألة المناهج والأدوات المتبعة في تحصيل المعرفة.
- مسألة الموضوعية والذاتية والنسبية.
- علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الانسانية من حيث المناهج والدقة العلمية وغيرها.
- مسألة اللّغة العلمية وطرائق تحليلها.

الابستمولوجيا هي فلسفة للعلوم ولكن بمعنى دقيق ينفي عليها بعض المجالات المعرفية مثل: دراسة مناهج العلوم لأن هذا من اختصاص الميثودولوجيا La Méthodologie، كما أن الابستمولوجيا لا تتوقف على الدراسة الوضعية المعتمدة أساسا على التحليل المنطقي للمعرفة العلمية أو قضايا المعرفة العلمية وهو موضوع فلسفة العلوم كما نجد ذلك في الاتجاه الأنجلوسكسوني، إنما الابستمولوجيا دراسة معنية بالناحية النقدية والتاريخية للمعارف العلمية، وهي ليست نظرية المعرفة لأنها في نظرا **لالاند** تمهيد لها فقط، وعليه فأن الابستمولوجيا هي الدراسة النقدية التاريخية لمبادئ وفرضيات ونتائج العلوم.

## قائمة المراجع والوسائط المتعددة:


- **الدكتور محمد جلوب الفرحان، مقدمة في الابستمولوجيا**، متوفر على الرابط التالي: https://drmfarhan.wordpress.com/2010/11/01/مقدمة-في-الأبستمولوجيا-2/
- جلطي مصطفى، محاضرات في ابستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال، جامعة سيدي بلعباس، متوفر على الرابط التالي: http://learn.univ-sba.dz/course/index.php?categoryid=8.
- عبد القادر لورسي، الدليل في الابستمولوجيا وتدريس العلوم، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، 2017، ط1.
- **https://www.youtube.com/watch?v=4CvuNl56__I**
- **https://www.youtube.com/watch?v=9-xlWa1eF2w**
- **https://www.youtube.com/watch?v=sW6HsVyqzyk**


## محاضرة (02): الابستمولوجيا عند غاستون باشلار

### 1/سمات "نظرية المعرفة العلمية" عند باشلار :

تتميز نظرية المعرفة العلمية عند **باشلار** بمجموعة من السمات الأساسية والتي تميّزها عن باقي الابستمولوجيات أو " نظريات المعرفة " عند الفلاسفة المحدثين والمعاصرين من هذه السمات نجد:

1_ أنها ترفض العقل قبل العلمي وتقول لا لعلم الأمس وللطرق المضادة في التفكير وليس معنى ذلك أنها فلسفة سلبية وإنما هي فلسفة بناءة ترى في الفكر عامل تطور عندما ينقد الواقع فهي فلسفة لا تعترف ببناء أو نسق نهائي للفكر العلمي بل ترى فيه فقط بناء يتجدد باستمرار على ضوء التطورات العلمية المستمرة.

2_أن الابستمولوجيا الباشلارية تستلزم النظر الى المعرفة من زاوية تطورها في الزمان أي بوصفها عملية تطور ونمو متصلة وبعبارة أخرى فإنه لابد من النظر الى المعرفة أية معرفة بوصفها نتيجة لمعرفة سابقة بالنسبة إلى معرفة أكثر تقدماً وتطوراً.

3_أن السمة الأساسية في الابستمولوجيا الباشلارية هي اهتمامها المتزايد بجوانب النقص والخطأ والفشل في حقول العلم أكثر من اهتمامها بالايجابيات وبهذه الطريقة تصبح الموضوعات العلمية عبارة عن مجموعة من الانتقادات التي وجهت إلى صورتها قبل العلمية أو صورتها الحسية القديمة.

5-أن الابستمولوجيا الباشلارية هي نظرية علمية في المعرفة لأنها تستقي موضوعاتها ومسائلها ومناهجها من العلم ذاته من المشاكل التي يطرحها تقدم العلم على العلماء المختصين، فهي إذن تُعنى بالمعرفة العلمية أساساً وتحاول أن تقدم حلولاً علمية لقضايا المعرفة عامة، بقدر ما تنتمي هذه القضايا الى ميادين البحث العلمي.

6_ابستمولوجيا باشلار نظرية في المعرفة غير مغلقة وغير مكتملة فهي لا تنشد المعرفة المغلقة على ذاتها، وهي لا تذهب مع دعاوى الفلاسفة الذين يتوهمون أنهم فرغوا من بناء نسق معرفي تام ومكتمل ونهائي، إنها لا تريد أن تتقيّد بنسق فلسفي مؤكد إنما هي تتمسك بأساسين : **أولا_**نسبية المعرفة. **ثانيا_** مبدأ القابلية للمراجعة، والابستمولوجيا بهذا المعنى يعتبرها صاحبها **باشلار** هي الفلسفة العلمية الوحيدة التي تواكب أي تطور يطرأ في حقل العلم.

## 2/مفهوم القطيعة الابستمولوجية عند باشلار : La rupture épistémologique

إن وجهة نظر أصحاب القطيعة الابستمولوجية تتلخص في أن تطور المعرفة العلمية لا يستند دوماً على المفاهيم نفسها التي تحملها التطورات العلمية في عصر من العصور أو في فترة من فترات تطور العلم بل إنه تطور يستند على إعادة بناء المفاهيم والتطورات والنظريات العلمية، وإعادة تعريفها وإعطائها مضموناً جديداً. وليس المقصود بالقطيعة الابستمولوجية ظهور مفاهيم أو نظريات وإشكاليات جديدة وحسب بل إنها تعني أكثر من ذلك أنه لا يمكن أن نجد أي ترابط أو اتصال بين القديم والجديد، وأن ما قبل وما بعد يشكلان عالمين من الأفكار كل منهما غريب عن الآخر. ولما كانت القطيعة الابستمولوجية بهذا المعنى خاصية نوعية لتطور العلوم، أي لما كان ما قبل القطيعة وما بعدها يختلفان جذرياً أحدهما عن الآخر فإن تأريخ العلوم يصبح حينئذ عبارة عن سلسلة من " الحقائق " أو " الأخطاء " المتعاقبة "، أو كما قال **باشلار**:" أن تأريخ العلم هو أخطاء العلم ".

وعند التساؤل عن مفهوم العائق الابستمولوجي لدى باشلار، الإجابة هي: كل ما يُبقي الفكر سجيناً لتصورات المعرفة العامة ويمنعه بالتالي من بلوغ معرفة موضوعية بالظواهر التي ندرسها، هذا التداخل بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة هو إذن المصدر الأول للعائق الابستمولوجي. نجد أن التداخل بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية يعيق مرة أخرى قيام مثل هذه الصياغة الدقيقة، كما أن هناك على مستوى الفهم تداخلاً بين المفاهيم العلمية والمفاهيم العامة، فإن هناك على مستوى التعبير تداخلاً آخر مرتبطاً بسابقه بين اللّغة العلمية واللغة العامة، وعندما يتحدث باشلار عن القوانين الابستمولوجية إنما يقصد تلك العوائق التي تعيق قيام المعرفة العلمية الموضوعية وبيّن باشلار أن العوائق الابستمولوجية ضرورة وظيفية لسير المعرفة العلمية.

## 3/مفهوم "العائق الابستمولوجي"عند باشلار : L'obstacle épistémologique

من خلال كتابات باشلار يمكن أن نعرف العائق بأنه عنصر أو جملة عناصر تمنع الفكر العلمي من التطور أو تؤخر العلم عن النشاط، وتعبر فترات الركود أو النكوص التي يعيشها العلم على وجود عوائق ابستمولوجية مرتبطة بالشروط النفسية للمعرفة في حد ذاتها وليست خارجية : "عندما نبحث عن الشروط النفسانية لتقدم العلم سرعان ما نتوصل الى هذا الاقتناع بأنه ينبغي طرح مسألة المعرفة العلمية بعبارات العقبات وليس باعتبار عقبات خارجية مثل تركيب الظواهر وزوالها، ولا إدانة ضعف الحواس والعقل البشري ففي صميم فعل المعرفة بالذات تظهر التباطؤات والاضطرابات بنوع من الضرورة الوظيفية ".

إن باشلار يفهم العوائق الابستمولوجية بجدليته العقلانية فالعائق لا يقوم بوظيفة سلبية دائماً بل قد يؤدي أدواراً ايجابية في تقدم المعرفة العلمية، ومنه فلا يمكن الحديث عن تطور للفكر العلمي بدون وجود العوائق، ولذلك نعود لقول باشلار " ففي صميم فعل المعرفة بالذات تظهر التباطؤات والاضطرابات بنوع من الضرورة الوظيفية **في كتابه " تكوين العقل العلمي " تحدث باشلار عن أبرز العوائق التي حالت الفكر العلمي عن التطور منها :**

**_عائق التجربة الاولى :** المعرفة العامية تعتمد على التجربة الحسية وبالتالي فإن الواقع المباشر لا يقود الى معرفة علمية والموضوع المباشر الذي تقدمه الحواس يلغي دور العقل في التفكير والنقد ويفرض عليه التصديق الكلي بكل ماتقدمه الحواس، ولذلك فإن التجربة الأولى العائق الأكبر أمام تطور المعرفة العلمية، إن أطروحة باشلار تتمثل في القضاء على مقاومة إغراء الصور الحسية.

**_عائق المعرفة العامة :** التعميم عقيدة سيطرت على الفكر البشري لمدة طويلة من الزمن ويرجع باشلار السبب في ذلك الى محاولة الفلاسفة التقليديين تكييف نتائج العلم لما يناسب مذهبهم الفلسفي يقول باشلار "للفلسفة علم خاص بها وحدها هو علم العمومية ".

**_العائق اللّفظي :** الفكر القبل_علمي لا يميّز بين المفهوم واللّفظ ولا يميّز بين الكلمة التي تصلح للتفكير والكلمة التي تضرب في نفس العصر من عصور المرحلة القبل_علمية وتحت نفس اللفظ نجد مفاهيم شديدة التباين،

ونفس اللفظ يصف الظاهرة ونفس اللفظ يشرحها والتعيين يكون نفسه لكن الشرح مختلف مثلاً لفظ " الهاتف " يعبر عن تصورات مختلفة عند الزبون لكن بالنسبة للهاتفي والمهندس والرياضي فإن الهاتف مفهوم مرتبط بمعادلات الفروق للتيار الهاتفي.

## 4/الفرق بين العائق الابستمولوجي والقطيعة الابستمولوجية :

القطيعة المعرفية هي عبارة عن قفزات نوعية تحدث في تأريخ العلوم، وتحدث القطيعة الابستمولوجية عند نشأة علم جديد أو نظرية علمية جديدة قاطعاً للصلة مع ما سبقه من علوم ومعارف، إن القطيعة إعلان عن ميلاد علم جديد غير مرتبط بما قبل " تأريخه " ولا تعبر القطيعة الباشلارية عن تغيير مفاجيء إنما المقصود هو المسار المعقد الذي يتكون في أثنائه نظام لم يعرف من قبل، إن النظريات العلمية المستجدة في كل عصر لا يمكن النظر إليها على أنها استمرار للنظريات السابقة فلا يمكن إرجاع فيزياء أينشتاين الى فيزياء نيوتن ولافيزياء نيوتن إلى غاليلي (1564 _1642 ) ومنه أن كل نظرية علمية مبنية على أسس مخالفة للنظريات السابقة عنها.

ومفهوم القطيعة بلغة باشلارية متجادل مع مفهوم العائق فإذا كانت العوائق سبباً في تباطؤ واختلال المعرفة العلمية وجمودها فإن القطيعة هي الفعل الابستمولوجي الذي تم به تجاوز هذه العوائق ونشط الفكر العلمي بعد جموده، ولذلك فإن باشلار في كتابه "جدلية الزمن " يحث على النظر الى تأريخ الاكتشافات والابداعات العلمية وفق منهج إيقاعي على وزن " عائق _قطيعة " " خمول _نشاط " فتأريخ العلوم ليس ترابطاً زمانياً على منوال دائم.

تأريخ العلوم هو تأريخ للقطائع الابستمولوجية، قطائع منهجية على مستوى التصورات وعلى مستوى المناهج وهي قطائع نابعة من داخل العلم وتأريخ العلوم من ناحية تاريخية إنتاج التصورات العلمية فكل علم له صيرورته الخاصة، يمر العلم بمراحل يعرف فيها تارة تباطؤات نتيجة العوائق وأحياناً أُخرى نوعاً من التسارع يسبب حدوث قطيعة بين مرحلة وأخرى، ولذلك ثار باشلار على مؤرخي العلوم الذين قدموا العلم كرواية مسلسلة مليئة بالمغامرات، أن أصحاب النظرية الاتصالية يرون بأن التأريخ حوادثه متسلسلة نتيجة اتصال الزمان فكل مرحلة تؤثر فيما يتلوها من مراحل، فالمعرفة العلمية عند هؤلاء مجرد امتداد للمرحلة العلمية.

## قائمة المراجع والوسائط المتعددة:


- جلطي مصطفى، محاضرات في ابستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال، جامعة سيدي بلعباس، متوفر على الرابط التالي: http://learn.univ-sba.dz/course/index.php?categoryid=8

- **محاضرات السنة الثانية علم النفس**، الابستمولوجيا، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، 2016-2017، متوفرة على الرابط التالي: https://fshs.univ-bba.dz/index.php/2016-02-22-14-03-17/2016-04-21-08-13-44/156-2017-02-22-08-21-50
- https://www.youtube.com/watch?v=88h611wWr2k
- https://www.youtube.com/watch?v=iE6560Eg7T8
- https://www.youtube.com/watch?v=-6dUmF_xLDI